eISSN 2600-8408
http://journals.iium.edu.my/al-fiqh
Pp. 115-124

Copyright (C) 2024
IIUM Press
International Islamic University Malaysia

المقاصد الدعوية والتربوية في ضوء سورة يوسف عليه السلام: رؤية تحليلية

Da'wah and Educational Objectives in the Light of Surat Yūsuf PBUH: An Analytical Perspective

حسن سليمان[i]، سعيد عبد الله بوصري[ii]، فاطمة كريم[iii]

ملخص البحث

شرع الله تعالى الشرائع، وأكمل الدين؛ ليضمن به سعادة الناس وصلاحهم وهدايتهم ونجاتهم في الدَّارين، وأنه تعالى قد أرسل لهم الرسل وأنزل معهم الكتب؛ ليقومَ الناسُ بالقِسْط في جميع شئونهم ومعاملاتهم. وإنَّ من رحمة الله تعالى بالناس أنْ بيَّن لهم سبيل الدعوة إليه. وسورة يوسف عليه السلام من إحدى سور القرآن التي ذكرت كثيرًا من الجوانب الدعوية والتربوية التي يمكن للدُّعاة المعاصرين استخدامها في دعوة الناس اليوم، ونظرًا لكثرة الفوائد والعِبَر في هذه السورة الكريمة؛ كان ذلك سببًا في اختيار الباحثين لها. وتتجلى **مشكلة الدراسة** في مُحاولة استنباط الأساليب الدعوية والتربوية في ضوء السورة؛ ولأجل إنجاز الدراسة اتخذ الباحثون **المنهج الوصفي التحليلي** طريقًا للوصول إلى استنباط الأساليب والفوائد الدعوية في قصة يوسف عليه السلام. وتُسهم هذه الدراسة في مجال الدعوة والإرشاد والتربية بإتاحة الفرصة للكشف عن الجوانب الدعوية في ضوء قصة يوسف عليه السلام؛ ليستفيد منها الدعاة المعاصرون في دعوتهم إلى الله سبحانه. وقد خلصت الدراسة إلى عدة **نتائج** أهمها: أنَّ القصص وسيلة تربوية مهمة لا يستغني عنها الداعية، وهي في القرآن الكريم حقيقة لا خيال. وأنَّ الدعاة إلى الله اليوم قد يكونون أشد عُرضة للابتلاء بالشر والخير، وأن فتنة النساء كما كانتْ في الأمم الماضية فهي في هذه الأمة أشد وأخطر كما أخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم: "ما تركتُ بعدي فتنةً أضرّ على الرجال من النساء" الحديث. **وتوصي الدراسة** العلماء والدعاة إلى الله بأنْ يُولوا القصص القرآنية اهتمامًا، وأن يدرسوها، ويستنبطوا منها العبر والفوائد؛ حيث إنه قد ثبت بالتتبع والاستقراء أن القصص تُشكّل ثلثَ القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الدعوة، التربية، فوائد، سورة يوسف عليه السَّلام، القصص القرآنية.

Abstract

Allah (SWT) legislated His laws and perfected the religion to guarantee people's happiness, righteousness, guidance, and salvation in both worlds; and he sent messengers and books with them, so that people may practice justice in all their affairs and transactions. It is part of Allah's mercy to people that He explained to them the path of calling to Him. Surat Yūsuf is one of the suwar of the Qur'an that mentioned many da`wah and educational aspects that contemporary preachers can use in calling people. Considering many benefits and lessons found in this noble surah, the researchers chose it for this study. The problem of the study is evident in the attempt to devise da`wah and educational methods in light of the surah. To complete the study, the researchers used the descriptive and analytical methods to arrive at deducing the methods and benefits of da'wah based on the story of Yusuf, peace be upon him. This study contributes to the field of da`wah, guidance, and education by providing the opportunity to explore the aspects of da`wah in light of the story of Yūsuf, peace be upon him. So that contemporary preachers may benefit from it in their call to the path of Allah (SWT). The study concluded several results. The most important of these are: the stories are useful for preaching Islam because the Qur'anic stories are true and not fictions. Another important point is that the callers to the path of Allah today may be more vulnerable to being afflicted with evil and good, and that the temptation of women, as it was in the previous nations, is in this nation more severe and dangerous, as the Prophet, may Allah bless him and grant him peace, said: "I have not left behind me a temptation that is more harmful to men than women." The study recommends that scholars and preachers to the path of Allah should pay attention to the Qur'anic stories and deduce lessons from them. It has been proven through observation and extrapolation that stories constitute one-third of the Holy Qur'an.

Keywords: *Da'wah, education, benefits, Surat Yūsuf, peace be upon him, Quranic stories.*

[i] أستاذ مساعد، قسم الفقه وأصول الفقه، كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا: abuxzubair@iium.edu.my

[ii] أستاذ مساعد، قسم الفقه وأصول الفقه، كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا: saheed@iium.edu.my

[iii] أستاذة مساعدة، قسم الفقه وأصول الفقه، كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا: fatimahkarim@iium.edu.my

Submission Date: 4 *March* 2024
Acceptance Date: 28 *March* 2024
Publication Date: 31 *July* 2024

International Journal of Fiqh and Usul al-Fiqh Studies
Vol. 8, *No.* 2, *Year* 2024, *July Issue*, *eISSN* 2600-8408,
Pages: 115-124, *https://journals.iium.edu.my/al-fiqh*

المحتوى

المقدمة 116
المبحث الأول: وصف سورة يوسف عليه السَّلام بأحسن القصص 117
المبحث الثاني: مقاصد سورة يوسف عليه السَّلام 118
المبحث الثالث: أهم المقاصد الدعوية والتربوية في سورة يوسف عليه السَّلام 119
أولا: الاعتناء باللغة العربية 119
ثانيا: معالجة الحَسَد 119
ثالثا: معالجة الكذب 120
رابعا: بناء القُدرات في تربية الأولاد 121
خامسا: دلالة تكرار القميص في سورة يوسف 121
سادسا: سُرعة انتشار الأخبار 122
الخاتمة 123
التوصيات 123
المراجع 124

المقدمة

الحمد لله القائل في كتابه العزيز: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾ [هود: ١٢٠]، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين القائل في حديثه الصحيح حينما سُئل عن أكرم الناس، فقال عليه الصلاة والسلام: "أتقاهم لله" – وذلك لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣]–، فقالوا ليس عن هذا نسألك يا رسول الله، فقال ﷺ: ((**فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ**))؛ (Al-Bukhārī, 1422H, 4/147) وذلك لأنَّ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم قد جَمَعَ بين مكارِمِ الأخلاق مع شرف النبوَّة، وشرف النسب مع شرف علم الرؤيا وتمكُّنه فيه، وسياسة الناس وملكهم بالعدْل والسيرة الجميلة، وعمومُ النفع للرعية وشفقتُه عليهم، وإنقاذه إياهم من تلك السِّنين العجاف، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدِّين وبعد؛

فالمتأمل في قصة نبي الله يوسف عليه السَّلام يجد أنه قد عاش قصصًا وأحداثًا عديدة مع أشخاص مختلفة في مواقف متغايِرة؛ من ذلك: قصته مع إخوته حينما ألقوه في غيابة الجبّ، ثم قصته مع امرأة العزيز التي راودتْه عن نفسه، ثم قصته في السِّجْن وتعبيره رؤيا الملك التي رآها في منامه، ثم قصته عندما صار عزيزَ مصر، ثم خِتام ذلك كله لقاؤه مع أبويْه بعد مرور سنوات على فراقهما.

أهداف البحث:

هدف البحث هو تحقيق الأمور الآتية: أولاً: بيان مقاصد السورة الكريمة، ثم بيان كيفية تآلف القلوب في المجتمع الإسلاميّ، وأخيرًا: بيان أهمّ الجوانب الدعوية والتربوية التي تَيسَّر للباحثين استنباطها من هذه القصَّة المعبرة.

مشكلة البحث:

تتجلى إشكالية هذه الدراسة في الإجابة عن تساؤلات يطرحها البحث منها: ما أفضل أساليب الدعوة إلى الله تعالى؟ كيف تكون الدعوة إلى الله في الشدائد والمحن؟ ما الأساليب الدعوية التي استخدمها سيدنا يوسف في حياته؟ ما الدروس التي يستفيد منها الدعاة إلى الله من قصة يوسف، ولماذا اعتبرت من أحسن القصص؟ ما مقاصد سورة يوسف؟ وكيف يكون تأليف القلوب؟ وما أهمّ المقاصد الدعوية والتربوية التي يمكن استنباطها من هذه القصة؟ هذا البحث يعد مُحاولة للجواب، واستنباط الأساليب الدعوية والتربوية من آيات السورة الكريمة.

منهج البحث:

لأجل السير في سبيل إنجاز الدراسة اتخذ الباحثون المنهج الوصفي التحليلي طريقًا للوصول إلى استنباط الأساليب والفوائد الدعوية والتربوية بقصة يوسف عليه السلام. إذ إنّه بالمنهج الوصفي يتم استنباط المقاصد الدعوية والتربوية في ضوء سورة يوسف عليه السلام، وكذلك استنباط الحلول والنتائج منها، كما يتم استخدام المنهج التحليلي في مناقشة بعض الآراء الواردة في السورة. وحيث إنَّ الجوانب التربوية الدعوية في سورة يوسف عليه السلام كثيرة جدًا، فقد ركّز الباحثون في إيراد أهم الأمثلة التربوية التي لا يستغني عنها الدعاة إلى الله تعالى، أو المربّون.

الدراسات السابقة:

يُعد كتاب (**في ظلال القرآن**) لسيّد قطب؛ وإن كنا لا نعدها من الدراسات السابقة، لكن كتابه من أهم الكتابات التي وقفنا عند اللمسات الدعوية والتربوية في آي القرآن كله، ومنه سورة يوسف موضوع البحث. وهو كتاب مرجعي للبحث قبل أن يكون دراسة سابقة موسعة.

ومن الدراسات السابقة أيضًا:

١. (**أساليب الدعوة من خلال سورة يوسف: دراسة تحليلية**) للباحث أحمد محمد يوسف دراسة ماجستير بقسم القرآن والسنة، بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ٢٠١٣م.

٢. (**القيم التربوية والإنسانية في سورة يوسف**)، للباحثة نزهة محمد محمد عثمان، وهو بحث منشور بمجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية، ليبيا ٢٠٢١. وهذه الدراسة توسَّعت في بيان السورة وما فيها من قيم تربوية، وفوائد دعوية، بينما تميز بحثنا عنها ببيان مقاصد السورة، واختصار أهم القيم التربوية والفوائد والدروس الدعوية، وبيان علاقتها ببناء المجتمع الواحد المتماسك في ظل التعددية كما هو في الواقع الماليزي.

المبحث الأول: وصف سورة يوسف عليه السَّلام بأحسن القصص

لقد اختلف أهل العلم اختلافًا كثيرًا في مسألة ألا وهي: لماذا وَصَفَ الله تعالى قصَّة نبيّه يوسف عليه السلام **بأحسن القصص** من بين سائر القصص القرآنيّة؟ حيث إن الله تعالى قال في مطلع السورة: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ**﴾ [يوسف: ٣]؛ فذهب بعض أهل العلم إلى: أنه لا تُوجد قصّة في القرآن الكريم تتضمَّنُ من العِبر والحِكم ما تتضمنه هذه القصّة؛ وهذا ظاهر عند قوله تعالى في آخر السورة: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [يوسف: ١١١].

وقال بعضهم: وصفها الله تعالى بأحسن القصص؛ لحُسْنِ تجاوُز يوسف عن إخوته وصبْره على أذاهم وعَفْوِه عنهم – بعد أنْ الْتقى بهم – دون أنْ يذكّرهم بما فعلوه معه، بل قال عليه السلام: ﴿**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ [يوسف: ٩٢].

وقال بعضهم: وُصفتْ بأحسن القصص؛ لأنَّ فيها ذِكْر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجنّ والإنس والأنعام والطير وسير الملوك والمماليك والتُّجَّار والعُلماء والجُهّال والرجال والنساء وحِيَلهنَّ ومَكْرهنَّ، وفيها ذكر التوحيد والفقه والسِّير وتعبير الرؤيا والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش وجُمل الفوائد التي تصلح لأمور الدِّين والدنيا.

وقال بعضهم: كلمة "أَحْسَنَ" في الآية معناها: أعْجبَ، والمعنى على هذا القول: أي نحن نقصّ عليك يا محمد ﷺ أعجب القصص، وذهب آخرون: إلى أنه إنما كانتْ أحسنَ القصص؛ لأنَّ كلَّ من جاء ذكره في القصة كان مآله السعادةَ؛ على سبيل المثال يوسف وأبوه وإخوته وامرأة العزيز، قِيل: والمِلك أيضًا أسلمَ بيوسف وحسُنَ إسلامه (Al-Qurṭubī, 2006, 11/243-244)، ومستعبِر الرؤيا الساقي، والشاهد المذكور في قوله: ﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا**﴾ [يوسف: ٢٦]، فما كان شأْنُ الجميع إلا إلى خيرٍ.

وقال بعضهم: وُصفت بأحسن القصص؛ لأنَّ قصّة يوسف جاءتْ متكاملة من أوّلها إلى آخرها في نفس السورة، بخلاف بقية القصص القرآني فتُذكر في عدة مواضع؛ على سبيل المثال– قصّة موسى عليه السلام– أشمل موضع ذكرتْ فيه هو سورة القصص، ورغم ذلك فصّلها الله في سُوَر أخرى (Al-Qurṭubī, 2006, 11/243-244; Ibn Juzayy, 1416H, 1/381).

هذا، والذي يراه الباحثون راجحًا رغم أنَّ "أَحْسَنَ الْقَصَصِ" يحتمل أن يكون المعنى: قصّة يوسف أحسن القصص على الإطلاق؛ لكنَّ الصحيح – والعِلْم عند الله– أنَّ أحسنَ القصص ليستْ قصة يوسف فحسب؛ وإنما المقصود **بأَحْسَنِ الْقَصَصِ** جُمل القصص التي قصّها الله تعالى على نبيّه محمد ﷺ في القرآن الكريم من: قصّة نوح، وقصّة إبراهيم، وقصّة موسى،

وقصّة عيسى وغيرها من القصص القرآنية؛ فقصّة يوسف عليه السلام واحدة منها.

المبحث الثاني: مقاصد سورة يوسف عليه السَّلام

سورة يوسف إحدى السور المكية إلّا الآيات: ١، و ٢، و ٣، و ٧، فمدنية كما ذهب إليه ابن عبَّاس رضي الله عنهما وقتادة، (Ibn ʿĀdil al-Ḥanbalī, 1998, 11/226; Ibn Juzayy, 1416H, 1/381). وعدد آياتها ١١١، نزلت بعد سورة هود، ولا يُعلم لها اسم غير "سورة يوسف"، ووجه تسميتها بهذا الاسم ظاهرٌ وجليٌّ؛ لأنها قصَّتْ قصّة نبيّ الله يوسف من أولها إلى آخرها، ولم تُذكر قصّته عليه السلام في غيرها، بل لم يذكر اسمه في غيرها، اللهم إلّا في سورتي (الأنعام، وغافر).

وكان من مقاصد هذه السورة: أنَّها تناولت قصص الأنبياء، وقد خصّصت الحديث عن قصّة النبيّ يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وما لاقاه هذا النبيّ الكريم من أنواع البلاء، ومن ضُروب المحن والشدائد، من: إخوته ومن غيرهم، في بيت العزيز، وفي السِّجن، وفي مَكْر نسوة المدينة إلى أنْ نجّاه الله تعالى من هذه الابتلاءات والشدائد مِصداقًا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾ [الطلاق: ٧]، وقوله جلّ في عُلاه: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ [الشرْح: ٥- ٦]، وقال ﷺ ((**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**)) (Al-Bukhārī, n.d., 5/5318).

ولعلَّ المقصد الأعظم من إنزال السورة هو: تسليَة النبي ﷺ بما مرَّ عليه من الشدة والكرب، وما تعرَّض له من أذى القريب والبعيد. وهذا بيّنٌ من الوقت الحرج الذي نزلت فيه السورة، وبالأخصّ أنَّ بعض أهل العلم قالوا: نزلتْ سورة يوسف في عام الحُزن؛ وذلك كان في فترة الحُزن على وفاة أمّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وهي التي كانتْ تقف بجانبه ﷺ، وتُشجّعه في أمور الدعوة إلى الله تعالى، وفي الوقت نفسه تُوفّي عمّ النبي ﷺ أبو طالب بن عبد المطلب وهو الذي كان يحميه، وفي هذه الفترة قد اشتدَّ فيها أذى الكفار على النبيّ ﷺ؛ لأنَّ الذي كانوا يخافونه ولا يتعرَّضون له بالأذى لأجله قد مات، وكذلك لم تعُدْ معه ﷺ الزوجة الصالحة التي كانت تُقوّيه وتُواسيه، فكان ﷺ بحاجة قصوى إلى تسلية تخفّف عنه ما يلقاه من الأذى وما يُعانيه من الحُزن.

فلما اشتدّ إيذاء قريش للرسول ﷺ وأصحابه، وبلغ تعذيبهم مبلغًا عظيمًا، حتى أنَّه ﷺ أذن للصحابة بالهجرة من مكة إلى الحبشة؛ نزلت سورة يوسف تسليَةً له ولأصحابه، ليقصّ الله تعالى على نبيّه ﷺ قصة يوسف عليه السلام الذي مرّ بمصائب عظيمة وشدائد جسيمة؛ لكنه عليه السلام قد نجا منها جميعًا، وكانتْ العاقبة له، فاصبر أنت يا محمد ﷺ وأصحابك كما صبر يوسف بن يعقوب، وثقوا بموعود الله لكم، فإنكم بعد هذا الأذى وهذا البلاء سوف تنتصرون على أعدائكم بإذن الله تعالى؛ ولذا قال تعالى في آخر السورة: ﴿**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ**﴾ [يوسف: ١١٠]، ولئن ابتلاك ربك بفقد الأبوين فقد ابتلى يوسف قبلك بالحِرْمان منهما، وبحسد الإخوة الذين باعُوه عبدًا بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة، ولئن ابتلاك ربك بفقد الزوجة المؤمنة الصالحة، وفقد العمّ الشفيق، فقد ابتلى يوسف قبلك بغيابة الجبّ حيث لا يجد فيها أحدًا يستأنس به غير أنَّ الله تعالى طمأنه وقال له: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ [يوسف: ١٥]، ولئن ابتلاك ربك بقومٍ اتَّهموك بالجنون والكهانة والسّحر، فقد اتُّهم يوسف قبلك بالسرقة والفحشاء وسُجِنَ بسبب هذه التهمة بِضع سِنين (Ibn ʿĀshūr, 1984, 12/198; Al-Khadhīr, n.d, 1|4-5).

كذلك من مقاصد هذه السورة؛ ما رُوي أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، فنزلت السُّورة، وقد روى الإمام الطبري أيضا عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: أُنزل القرآن فتلاه رسول الله ﷺ على أصحابه زمانا، فقالوا (أي المسلمون بمكة): يا رسول الله ﷺ لو قصَصْتَ علينا، فأنزل الله: "**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ**" إلى قوله: "**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**". (Al-Qurṭubī, 2006, 11/240; Al-Ṭabarī, 2000, 15/553) فتلك هي مقاصد السورة والله أعلم.

المبحث الثالث: أهم المقاصد الدعوية والتربوية في سورة يوسف عليه السَّلام

عندما يقرأُ المرْء سورة يوسف عليه السلام بتدبر وتأمّلٍ، يجد فيها مقاصد كثيرة تُربّي الدَّعاة، والمنشغلين بتربية الأبناء والبنات؛ وهذه تُعدّ من مقاصد الهداية التي يهدي لأقْومها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ [الإسراء: ٩]، يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله في تفسيره: "ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنَّ هذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكُتُب السَّماوية وأجمعُها لجميع العلوم، وآخرها عهدًا برب العالمين جلّ وعلا، يهدي للَّتي هي أقومُ؛ أي الطريقُ التي هي أسَدُّ وأعْدَلُ وأصْوبُ" (Al-Shanqīṭī, 1998, 3/17).

وهذه بعض المقاصد الدعوية، والتربوية في هذه السورة:

أولا: الاعتناء باللغة العربية

من المقاصد التربوية الإيجابية في السورة: العِناية باللسان العربي الذي نزل به القرآن، ولا جرم أنَّ اللغة العربية مهمة لعدة أسباب؛ على رأسها ما تتميَّز به منْ قُدْسية عند جميع المسلمين عَربًا وعجمًا؛ حيث إنها اللغة التي يجب أنْ يعبدوا الله عز وجلّ بها، بل إن العربية هي اللغة التي لا تُستبدل بها أيّ لغة أخرى في الأمور الدّينية، ودليل ذلك أنَّ المسلمين عندما يُصلّون مثلاً لا مَحيْد لهم عن قراءة سورة الفاتحة التي هي ركن من أركان الصلاة؛ إذ لا تصحُّ الصلاة إلا بها، والفاتحة لا يُمكن قراءتها إلا باللغة العربية لا محالة. ومما يدلّ على ذلك كون القرآن الكريم نزل بالعربية كما قال سبحانه في بداية السورة ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [يوسف: ٢]؛ ولذلك ينبغي لكل مسلم ومسلمة فضلاً عن المربّين والآباء والأمهات أنْ يُعلّموا أولادهم لغةَ القرآن الكريم؛ حتى لا تندثر فيندثر معها كثيرٌ من معاني القرآن الكريم. ويُلْحظ أن كثيرا من الناس اليوم يَحرصون غاية الحِرص على تعلّم اللغات الأجنبيَّة كالإنجليزية والفرنسيَّة واليابانيَّة والكوريَّة والإيطاليَّة والصِّينية والإسبانيَّة والألمانيَّة لغرض الحصول على المكانة الاجتماعية، وفي الوقت نفسه يزهدون في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، فجديرٌ بكل مسلم أنْ يحرص على تعلّم العربية والتَّبحُّر في عُلومِها (نحوا، وصَرْفا، وبلاغةً، وشِعرا)، وأنْ يُعلِّمها أبناءه من الصِّغر وأن يتحدَّث بالعربية الفصحى قُربةً لله تعالى، ورغبةً في الأجر والثواب، ونُصْرةً للغة القرآن الكريم ولغة النبيّ محمد ﷺ. هذا، ولا شكَّ أنَّ تعلُّم هذه اللغات الأجنبية أمرٌ جيد ونافعٌ لكن بشرط ألا يُشغل الإنسان عن تعلّم العربية التي ينتفع بها في دنياه وآخرته، وإن استطاع أنْ يجمع بينهما فقد جمع خيرا إلى خيرٍ.

ثانيا: معالجة الحَسَد

من المقاصد التربوية معالجة الروح السَّلبية الكامنة في نفس الحاسد؛ ففي السورة: بيان ذمّ الحسد وأهله، فالحسد هو أن يكره الإنسان وُصول النعمة إلى غيره ويتمنى زوالها عنه، وله آثار سلبية كثيرة، يكفي أن الحاسد معترض على قضاء الله تعالى، ومُتَّهم له في قسمته بين عباده؛ لأنَّ الحاسد يرى أنَّ المحسود غير أهل لما أعطاه الله تعالى، وأنَّ غيره أولى بهذه النعمة! وكذلك من آثار الحَسَد السيّئة أنه يُورث العداوة والبغْضاء بين الناس بل بين الإخوة في النسب؛ ولذلك من حُسن توجيه يعقوب عليه السلام لابنه يوسف أنْ حذَّره من إخبار إخوته عن الرؤيا التي رآها خوفًا من أنْ يحسدوه؛ لأنه أحسَّ من أبنائه حسدَهم ليوسف فقال له: ﴿**يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ [يوسف: ٥]؛ فجمع بين النهي والتعليل والتوجيه وهذا غاية التربية مع الابن وليس مجرد أمر ونهي فقط، ومع ذلك لا يُغني حذرٌ من قدر، فقد وقع هذا الحسد منهم ليوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**﴾ [يوسف: ٨- ١٠]. ومن أجل فعلهم هذا بيوسف عليه السلام اختلف أهل العلم في **مسألة** وهي: هل إخوة يوسف الذين فعلوا به هذا الفعل الشنيع أنبياء أم لا؟ فذهب بعض العلماء إلى أنهم أنبياء بينما ذهب آخرون إلى أنهم لم يكونوا

أنبياء. يقول القرطبي: "ومن فعلهم بيوسف يدلُّ على أنهم كانوا غيرَ أنبياءَ في ذلك الوقت، ووقع في كتاب الطبريّ أنهم كانوا أنبياء، وهذا يردّه القطع بعصمة الأنبياء عن الحسد الدنيويّ، وعن عقوق الآباء، وتعريض مؤمن للهلاك، والتآمرِ في قتله، ولا التفات لقولِ من قال: إنهم كانوا أنبياء، ولا يستحيلُ في العقل زلَّة نبيّ، إلا أنَّ هذه الزلَّة قد جمعت أنواعا من الكبائر، وقد أجمع المسلمون على عصمتهم منها، وإنما اختلفوا في الصَّغائر" (Al-Qurṭubī, 2006, 11/255-256).

وقال ابن تيمية، وقد سئل عن إخوة يوسف هل كانوا أنبياء؟ فقال: "الذي يدلّ عليه القرآن واللغة والاعتبار أن إخوة يوسف ليسوا بأنبياء، وليس في القرآن، وليس عن النبي ﷺ، بل ولا عن أصحابه خبر بأن الله تعالى نبّأهم، وإنما احتج من قال أنهم نُبئوا بقوله في آيتي البقرة والنساء "والأسباط"، وفسر الأسباط بأنهم أولاد يعقوب، والصواب أنه ليس المراد بهم أولاده لصلبه بل ذُرِّيَّتُه، كما يقال فيهم أيضاً: "بنو إسرائيل"، وكان في ذريته الأنبياء، فالأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من بني إسماعيل. وبمثل ما قال ابن تيمية قال تلميذه ابن كثير: "واعلم أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف، وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك، ومن الناس من يزعم أنهم أوحي إليهم بعد ذلك، وفي هذا نظر، ويحتاج مدعي ذلك إلى دليل، ولم يذكروا سوى قوله تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ**﴾ [البقرة: ١٣٦]، وهذا فيه احتمال لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم الأسباط، كما يقال للعرب قبائل وللعجم شعوب، يذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بني إسرائيل فذكرهم إجمالاً لأنهم كثيرون، ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف، ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحي إليهم، والله أعلم" (Ibn Kathīr, 2000, 8/16).

هذا، ولما كان الحسد صفة مذمومة وقد اتصف به الشيطان فحسد آدم عليه السلام لما رآه فاق الملائكة؛ لأن الله تعالى خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها، وأسكنه في جنته، سعى في إخراجه من الجنة حتى خرج منها، والحسد هو الذي حمل أحد أبناء آدم على قتل أخيه ظلما؛ لأن الله وهبه النعمة وتقبّل منه القربان، والحسد صفة اليهود كما بيّن الله ذلك في آيات من القرآن؛ فقد حسدوا الرسول ﷺ على ما أتاه الله من النبوّة والمنزلة العظيمة فكفروا به مع علمهم بصدقه وتيقّنهم بأنه نبيّ من عند الله، ولذا فقد حذّر النبيّ ﷺ أمّته من الحسد فقال: ((**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**)) (Muslim, 1334H, 8/10).

ثالثا: معالجة الكذب

من المقاصد التربوية معالجة الخلق السَّلبية للكذاب؛ ففي السورة: بيان ذمّ الكذب وأهله، فالكذبُ أساسٌ للنفاق وسوء الأخلاق، وسببٌ في الوقوع في محارم الله سبحانه. قال تعالى: ﴿**وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ* قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ* وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف: ١٦- ١٨]. ذكر بعض المفسرين أنَّ إخوة يوسف عليه السلام لطَّخوا قميصَه بدمِ تيْسٍ، وقالوا لأبيهم: هذا دمه في قميصه دليلاً على صِدْقهم! فقال لهم: ما بال الذئب أكله دون أنْ يخرق قميصه؟ فاستدلَّ بذلك على كذبهم قائلاً لهم: بل زيَّنتْ لكم أنفسكم أمرا، وحكايةُ أنَّ الذئب أكل يوسف مُلفَّقة مكشوفة (Ibn Juzayy, 1416H, 1/381). ولذا فقد رغّب النبيّ ﷺ أمّته في الصدق وحذَّرهم من الكذب فقال: ((**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**)) (Muslim, 1334H, 4/2013).

فالكذب في جميع الشرائع حرامٌ، ويهدي إلى الفُجور كما أخبر النبي ﷺ، ولا يُستثنى منه شيءٌ إلا ما ورد في الحديث الصحيح، أنه يُستثنى الكذب في ثلاثة مواطن: (في الحَرْب، والإصلاح بين الناس، وحديث الزوج مع امرأته وحديثها إياه).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ بعض العلماء قالوا: إن المراد بالكذب في الحديث المشار إليه التورية وليس الكذب صراحةً؛ قالوا إنَّ التورية قد تطلق على الكذب؛ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيّ ﷺ قال ((لم يكذبْ إبراهيمُ إلا ثلاثَ كَذْباتٍ: ثِنتين منهنَّ في ذات الله تعالى قوله: ﴿**إِنِّي سَقِيمٌ**﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ**﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وواحدةٌ في شأن زوجته سارةَ...)). ومن المعلوم أنَّ إبراهيم عليه السلام لم يكذب، وإنما استعمل التورية وهو فيها صادق (Ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī, n.d., 6/391; Al-Nawawī, 1392, 15/124-125).

ومهما يكن من شيء فالكذب حرامٌ إلا في هذه الثلاث على رأي أكثر العلماء، وبعض العلماء يرى أنَّ الكذب حرامٌ مطلقا؛ وبالتالي ما يفعله بعض الدُّعاة الجُدُد أو المربّين اليوم من حكاية القصَّة كاذبا وهو يعلم أنها كذبٌ لكنه يحكيها من أجل أنْ يضحك الناس فهذا لا يجوز شرعا؛ لأنه كذبٌ فلْيُتفَطَّن لذلك.

وفي الآيات ملامح تربوية أخرى **منها**: قول يعقوب عليه السَّلام "فَصَبْرٌ جَمِيلٌ"، أي سأصبر على هذه المصيبة صبرا لا يُخالطه جزعُ اليائسين من رحمة الله، ولا الشكْوى إلى غير الله تعالى، وهكذا ينبغي أن يكون كلّ مؤمن مبتلى، صابرا حابسا نفسه عن الجزع؛ ولذا فقد حثَّ الله على الصبر في غير آية في القرآن الكريم، ورتَّب عليه ثوابا عظيما، ومدح أهله، من ذلك ما حكى الله عن أيوب عليه السَّلام حيث كان صاحبَ حرث وأنعام وأولاد، لكن ابتلاه الله بإهلاكها كلها، ثم ابتلاه في جسده، فلم يبقَ منه سوى لسانه وقلبه يذكر بهما ربّه سبحانه حتى تركه جميع أهله وأولاده، ولم يبقَ معه سوى زوجته، ورغم هذا البلاء لم يفعل شيئا سوى إخبار ربّه أنه مسَّه ضرٌّ، قال تعالى: ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وأثنى عليه ربُّه، قال تعالى: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ [ص: ٤٤]، فلما وُجد الدُّعاء من أيوب عليه السلام، وشدة صبره وكثرة رجوعه إلى ربّه كشف الله سبحانه ما به من ضرٍّ فقال تعالى: ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٤].

ومنها أيضًا: قوله عليه السَّلام: "وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ"، أي سأُفوِّض أمري إلى الله سبحانه في هذه المصيبة ولا أستعين على تحمُّلها بغيره أحدا منكم ولا من غيركم. فالحاصل أنَّ تفويض الأمر إلى الله تعالى والتوكل عليه مطلوب في جميع أمور الدنيا والآخرة؛ وقد أمر الله بذلك في نصوص كثيرة في القرآن الكريم (Riḍā, 1990, 12/221).

وأخيرا يُستفاد من الآيات: أنَّ الذي يتظاهر بالأمر سرعان ما ينكشف أمره لأهل الذَّكاء ولو استخدم أسلوبَ التمثيل؛ حيث إنَّ إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاءً يبْكون! وهذا مجرد تمثيل ليس إلا ومع ذلك انكشف أمرهم عند أبيهم.

رابعا: بناء القُدرات في تربية الأولاد

من المقاصد التربوية الإيجابية في السورة: بناء القدرة، فالمربّي الناجح هو الذي يُحدّد للمربّى قدوة يستنير بها ويتَّبعها في بناء شخصيَّته وتنمية ذاته، ويكتسب الأخلاق العالية منها، ويجني منها ثمرات الخير والهداية؛ وهذا ما حَرِصَ نبيّ الله يعقوب عليه السلام غرسه في ابنه يوسف عليه السلام؛ فقال له: ﴿**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [يوسف: ٦]. وقد ذكر بعض المفسرين أنَّ يعقوب عليه السلام علم ذلك بتعبير الرؤيا ودلالتها على رفعة شأنه في المستقبل (Ibn ʿĀshūr, 1984, 12/215).

خامسا: دلالة تكرار القميص في سورة يوسف

وردتْ كلمة "قميص" في قصَّة يوسف ﷺ ستّ مرات، وفي جميع هذه المواضع الستة مقصود به قميص يوسف، وهذا يعني أنَّ للقميص دورا بارزا في القصة؛ الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى **قَمِيصِهِ** بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨]، والموضع الثاني والثالث والرابع والخامس: في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ **قَمِيصَهُ** مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ

مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ **قَمِيصُهُ** قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ **قَمِيصُهُ** قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى **قَمِيصَهُ** قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ [يوسف: ٢٥-٢٨]، والمرة الأخيرة في قوله تعالى: ﴿ اذْهَبُوا **بِقَمِيصِي** هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣].

فالسبب في تكرار ذكر القميص مرات أنه استُعمل ك (بَيِّنة) في ثلاثة مواضع: استُعمل بَيِّنة مُزورة في قوله: **(جَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ)**، فهذه البيِّنة ليست صحيحة؛ حيث إنهم استدلّوا به على قولهم – بلسان الحال– إنَّ الذئب أكل يوسف بالقميص الذي عليه دم كذب. ثم استُعمل القميص مرة أخرى كبَيِّنة صحيحة لأجل الوصول إلى براءة يوسف في قوله: **(وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)**. ثم استُعمل القميص للمرة الثالثة كبَيِّنة صحيحة لأجل الدلالة على أنَّ يوسف ما زال حيّا لم يمتْ وذلك في قوله: **(اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا)**. وكان ذلك بشرى لوالده، بل كان سببا لردّ بصره، ووجه كونه بَيِّنة أنه قميص يوسف وفيه رائحته. ولا يخفى أنَّه في عصرنا اليوم تُعتبر رائحة العرق أحد الشواهد والقرائن في مكان وُقوع الجريمة؛ لهذا تُستخدم الكلاب البوليسية في شمّها والتعرّف على المجْرِم من رائحته، ولعل هذه الحقيقة كانتْ موجودة في الزمن الماضي أيضا؛ ولذلك جعل يوسف عليه السلام قميصَه علامةً لأبيه على حياته. والله أعلم.

سادسا: سُرعة انتشار الأخبار

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ* فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾ [يوسف: ٣٠- ٣١].

يُلاحظ في عصرنا الحاضر أن بعض وكالات الأنباء – للتأثير على الرأي العام وتوجيهه – بمجرد ما تتلقى خبرا سرعان ما تنشره في وسائل التواصل الاجتماعي، –ربما– دون التأكد من صحة الخبر، وفي قصة يوسف مثل هذا الشأن! فقد دارت الأخبار بسرعة أنَّ امرأة العزيز تُراود فتاها عن نفسه. فلما سمعت بطعن النسوة فيها، وقد ذكر أهل العلم أنَّ كلامهن متضمن لوُجوه من المكر؛ أحدها: قولهن "امْرَأَتُ الْعَزِيزِ" دون أن يُسمّوها باسمها بل ذكروها بالوصف الذي يُنادى عليها بقبيح فعلها بكونها متزوجة، فيكون وُقوع الفاحشة منها أقبح من وُقوعها ممن ليس متزوجا، الثاني: قولهن أيضا "امْرَأَتُ الْعَزِيزِ"، يعني أنَّ زوجها عزيز مصر ورئيسها وذلك أقبح لصدور الفاحشة منها، الثالث: قولهن "تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ" يعني أنها هي المراوِدة الطالبة للفاحشة ولم يكن يوسف هو الذي راودها، الرابع: قولهن "تراود فتاها" يعني أنها تراود مملوكا لا حُرًّا؛ وذلك أبلغ في القبح، الخامس: قولهن "قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا" يعني بلغ حبُّها ليوسف شغاف القلب بحيث أحبّته حبا أعمى بصيرتها، السادس: "إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" يعني إنا لنستقبح منها ذلك الفعل ونُنزّه أنفسنا من الوقوع في مثل هذه الفاحشة، السابع: أن النسوة تكلمن بكل هذا الكلام في غيبتها وليس أمامها، وهذا كله من كيد النساء؛ ولذلك فقد قابلت هذا المكر القولي بالمكر الفعلي فجمعتهن، وأعددت لهن متكأ، وآتت كل واحدة منهن سكينا، وقالت اخرج عليهن، وهو خادم في البيت يطيع رغما عنه، فخرج عليهن فلما رأينه انشغلن بجماله عن السكاكين التي تعمل في الأيدي، وقطعن أيدهن، وسالت الدماء بدون إحساس، وهذا يدل على شدة جمال يوسف عليه السلام لدرجة أنَّ ألم تقطيع الأيدي لم يشعرْن به أمام رؤية يوسف عليه السلام! (Ibn al-Qayyim, 1975, 2/117).

وقد ذكر أهل العلم أيضا أنَّ تصرّف امرأة العزيز تُجاه مكر النسوة متضمن لوُجوه من المكر؛ أحدها: أنها أرسلت إليهن دعوى للطعام، الثاني: أنها جعلت يوسف عليه السلام في حجرة بحيث لا يستطيع أن يخرج من هذه الحجرة إلا عن طريق النسوة، الثالث: أنها أحضرت لهن طعاما يحتاج إلى القطع بالسِّكين، الرابع: أنها آتت كلَّ واحدة منهن سكّينا لكي تقوم بقطع الطعام

بنفسها، الخامس: أنها استخدمت أسلوب المفاجئة؛ حيث أخرجت يوسف عليهن بغتةً ولم تخبرهن عن دخوله عليهن (Ibn al-Qayyim, 1975, 2/117).

فهذه كلها من مكر امرأة العزيز وكانت غاية في المكر، وبعد أن حصل لهن ما حصل قالت معاتبةً إياهنَّ: ﴿**فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾ [يوسف: ٣٢].

هذا، وما أورده الباحثون من مقاصد الجوانب الدعوية والتربوية إنما هو شيء قليل، وإنما أردْنا من قارئ هذه السورة أنْ يتدبّر في معانيها ليصل إلى المقاصد التي أرادها الله تعالى لعباده، والجوانب التربوية الدعوية؛ عسى أن نتربّى بهذه القصة الرائعة المؤثرة ونكون من العلماء والدُّعاة المفلحين المذكورين في قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ورغبةً في أنْ يجعلنا الله تعالى ممَّن قال فيهم: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصّلت: ٣٣].

الخاتمة

بعد هذه الجولة الموجزة حول المقاصد الدعوية والتربوية في ضوء سورة يوسف عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسَّلام توصلت الدراسة إلى عدة نتائج هي:

١. أنَّ القصص وسيلة مقاصدية تربوية مهمة لا يستغني عنها الداعية، وهي في القرآن الكريم حقيقة لا خيال.
٢. أنَّ الدعاة إلى الله اليوم قد يكونون أشد عُرضة للابتلاء بالشر والخير؛ لأنَّ فتنة النساء كما كانتْ في الأمم الماضية فهي في هذه الأمة أشد وأخطر كما أخبر النبيّ ﷺ: ((ما تركتُ بعدي فتنةً أضرّ على الرجال من النساء)) الحديث أخرجه البخاري (٥٠٩٦) ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد، ثم إن هذا النوع من الابتلاء مقصود الشارع؛ لرفع الدرجات .
٣. أن الله تعالى قصّ على نبيّه ﷺ ما يحتاج إليه من قصص النبيّ يوسف عليه السلام؛ لتثبيته على أداء الرسالة والصبر على ما سيناله فيها من الأذى، وهذا من مقاصد إنزال السورة.
٤. أن نزول سورة يوسف عليه السلام بكاملها دليل على نبوّة محمد ﷺ؛ لأنه كان أميّا لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك يحكي للناس قصة نبي الله يوسف المجهولة أخبارها عند العرب جهلا تاما، وقد رُوي في بعض كتب التفسير – وإن كان هذا يتوافق فقط مع الرأي الذي يرى أن بعض آيات السور مدنية كما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما وغيره– أن اليهود قالوا: سَلُوا محمدا لِمَ انتقل آلُ يعقوب من الشام إلى مصر، وعن خبر يوسف؟ فأنزل الله عز وجلّ سورة يوسف عليه السلام موافقا لما في التوراة، بل وفيه زيادةُ تفاصيل ليست موجودة في التوراة التي بأيدي اليهود، فكان هذا من دلائل النبوة للنبيّ ﷺ وكذلك من مقاصد حكاية القصة عليه.
٥. أن القرآن الكريم عني بالقصص وأوْلاها أهمية خاصة؛ وذلك لما للقصص من أثر في العمل والدعوة والتربية والجهاد في سبيل الله تعالى، وهذا مقصد عظيم من المقاصد الدعوية والتربوية معًا، ولذلك نجد أن العلماء بعد التتبع والاستقراء قالوا: إن القصص القرآنية تشكل ثلث القرآن الكريم.

التوصيات

تُوصي الدراسة العلماء والدعاة إلى الله بأنْ يُولوا القصص القرآنية اهتمامًا واستنباطًا ودراسةً لا سِيَّما سورة يوسف عليه السَّلام من بين سُور القرآن الكريم، فما زال هناك جوانب بحاجة لدراستها واستخراج فوائدها وربطها بالواقع ليستفيد منها الدعاة الجُدد في دعوتهم إلى الله سبحانه، والمربّون في العملية التربوية؛ وقد ثبت لدى العلماء بالتتبع والاستقراء أن القصص القرآنية – التي تشكّل ثلثَ القرآن الكريم – مليئة بالأحكام كما قيل قديمًا: "ألا إن في الأمثال لأحكام كثيرة".

المراجع

Al-Bukhārī, M. I. I. (1987). Al-jāmiʿ al-ṣaḥīḥ al-mukhtaṣar (M. D. al-Bughā, Ed.). Dār Ibn Kathīr.

Al-Nawawī, A. Z. Y. (1392 AH). Sharḥ al-Nawawī ʿalā Muslim. Dār Iḥyāʾ al-ʿArabī.

Al-Qurṭubī, A. A. M. A. (2006). Al-jāmiʿ li-aḥkām al-Qurʾān (A. A. al-Turkī, Ed.). Muʾassasat al-Risālah.

Al-Shanqīṭī, M. A. M. M. (1998). Aḍwāʾ al-bayān fī īḍāḥ al-Qurʾān bi-al-Qurʾān. Dār al-Fikr.

Al-Ṭabarī, M. J. (2000). Jāmiʿ al-bayān fī taʾwīl al-Qurʾān (A. M. Shākir, Ed.). Muʾassasat al-Risālah.

Ibn ʿĀdil al-Ḥanbalī, A. Ḥ. ʿU. A. (1998). Al-lubāb fī ʿulūm al-kitāb (A. A. ʿAbd al-Mawjūd, Ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah.

Ibn al-Qayyim, M. A. A. (1410 AH). Al-tafsīr al-qayyim. Dār al-Hilāl.

Ibn al-Qayyim, M. A. A. (1975). Ighāthat al-laḥfān min maṣāʾid al-Shayṭān (M. Ḥ. al-Faqī, Ed.). Dār al-Maʿrifah.

Ibn ʿĀshūr, M. Ṭ. M. (1984). Al-taḥrīr wa-al-tanwīr. Al-Dār al-Tūnisīyah.

Ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī, A. F. A. A. M. (n.d.). Fatḥ al-bārī (A. A. Ibn Bāz, Ed.). Dār al-Fikr.

Ibn Juzayy, A. Q. M. A. M. A. (1416 AH). Al-tashīl li-ʿulūm al-tanzīl (A. al-Khālidī, Ed.). Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam.

Ibn Kathīr, I. D. A. F. I. (2000). Tafsīr al-Qurʾān al-ʿaẓīm (M. al-Sayyid, Ed.). Muʾassasat Qurṭubah.

Muslim, A. Ḥ. M. Ḥ. (1334 AH). Al-musnad al-ṣaḥīḥ al-mukhtaṣar (M. M. al-Muḥaqqiqīn, Ed.). Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam.

Quṭb, S. Q. I. (1412 AH). Fī ẓilāl al-Qurʾān. Dār al-Shurūq.

Riḍā, M. R. A. (1990). Tafsīr al-manār (A. M. Shākir, Ed.). Al-Hayʾah al-Miṣrīyah al-ʿĀmmah li-al-Kutub.

ʿUthmān, N. M. M. (2021). Al-qiyam al-tarbawīyah wa-al-insānīyah fī Sūrat Yūsuf. Majallat Jāmiʿat Sabhā lil-ʿUlūm al-Insānīyah, 20(1), 221-228.